وبثّ اشعاعاتهِ الواهيَه توسدت مرج الرّبى باعتلالْ
والليل أرخى السُّتُرَ الداجيَه على سفوح الشُّمّ شُمِّ الجبالْ
ومدّ في جوانب الاوديَه ما مدّ من تلك الستور الطوالْ
أودَعَ ذاك المنظر المعجبُ في خلَد الطبيعة الخاشعِ
ما هزّها فاتجهت تُعرِبُ عن حمدنا للعالِمِ السامعِ

***

يرفعها لسانها النَّيّرُ لخالق الليل وربّ النهارْ
بذلك الشعر الذي يندرُ وذلك الوصف وذا الإفتكارْ
بكرٌ ولكن ليس يُستكثرُ على «لمرتينِ» ابي الإبتكارْ
يا شعرآء العصر لا تغضبوا هل فيكمو من شاعرٍ بارعِ
يعاف ما مرّ ويستعذبُ ورودَ هذا المشرع النابعِ

اسئلة واجوبتها

كفر ابي نجاح - ارجو اجابتي في ضيائكم المنير على السؤالين الآتيين

(١) ما هو تعريف الانتقاد في اللغة وفي اصطلاح الكتّاب وما هي الشروط التي يجب مراعاتها فيهِ

(٢) ما هو تعريف القصة في اللغة وفي اصطلاح اهل الفنّ وما هي قواعد تأليفها

احمد الصراف

ملاحظ البوليس بكفر ابي نجاح

الجواب ـ اما الانتقاد فمأخوذ من انتقاد الدراهم لتمييز جيّدها من رديئها ويراد بهِ في العُرف خص شيءٍ من المصنوعات اللسانية او اليدوية لادراك حسناتهِ وعيوبهِ . ولم نجد في العرب من تكلم على هذا الفن ولا من افردهُ في كتاب انما جلّ وظيفة الناقد على ما رأينا من صنيع اكثرهم ان يسوّئ على من ينتقد كلامهُ ما استطاع ويزيّف كل حسنةٍ لهُ حتى تنقلب سيئةً وذلك كما فعل الخفاجي فيما سماهُ شرحاً لدرّة الغوّاص او ان يكون على عكس ذلك فيحتال في تخريج كل وهم يسقط عليهِ في كلامهِ وتسديد كل هفوةٍ تبدر منهُ كما فعلهُ اكثر شرّاح الكتب العلمية من اقامة انفسهم مقام الخُدّام للمتن فيأخذون في التوجيه والتأويل وتحمل الاصابة فيما هو ظاهر الغلط . ولا يخفى ان كلاً من هذين الطرفين من دواعي التضليل وستر وجوه الحقائق تحت براقع التمويه وفيهِ من الاضرار بالمستفيد وافساد قواعد العلم والذوق ما لا يخفى على الاريب

اذا تقرّر ذلك فمن البديهي ان اوّل شروط المنتقد ان يكون خبيرًا فيما ينتقدهُ بصيراً بحسناتهِ وعيوبهِ لئلا يرسل الكلام عن مجازفةٍ وخبط ويخلط بين الحسنات والسيئات متمكناً من اقامة البرهان على ما يحكم بهِ او عرضهِ على قياس العقل والذوق الصحيح كما فعل ابن خلدون في انتقاد بعض اقوال المؤرخين وكما فعل الآمديّ في الموازنة بين ابي تمام والبحتري وصاحب المثل السائر في المفاضلة بين كلٍّ من هذين وأبي الطيب المتنبي والاّ رُدّ انتقادهُ عليهِ وعُدّ جاهلاً او متحاملاً

والشرط الثاني ان يكون بعد علمهِ بحقيقة ما ينتقدهُ منصفاً فيما يقولهُ

لا يغمط احساناً ولا يموّهُ اساءةً فلا يدعي للمنتقَد عليهِ اكثر مما لهُ ولا يبخس المحسن اشيآءهُ فان ذلك من اعظم مفاسد العلم بما يبعث عليهِ من الاستخفاف بالعلميات واهمال التحرّي والتحرّز او من الانقباض عن العمل والاستسلام للقعود والقنوط وبما يؤدي اليهِ من خلط الحقائق على من لا أداة عندهُ للحكم فيضيع الحق ورآء حجب الهوى وشُبَه الاغراض

والشرط الثالث ان يتجافى المنتقد عن الغلوّ في المدح والاطرآء عند ايراد الحسنة او القدح والازرآء عند ايراد السيئة فان ذلك يؤدّي الى الريب في شهادتهِ ويبعث على اتهامهِ بشبهة التشيع او التحامل فيُنبَذ كلامهُ وتسقط الفائدة المقصودة من نقدهِ

والرابع ان لا يخلط بين ما يرى من صنيع الشخص الذي جعلهُ محلاً لانتقادهِ وما يعلم او يظن من حالهِ في خاصة نفسهِ فان وظيفتهُ في تلك الحال ان ينتقد الكلام من حيث هو كلام لا من حيث ان قائلهُ فلان فكم من الناس من تظنهم عند الذكر والسمعة شيئاً وتراهم عند ما تبلو اقوالهم وعقولهم شيئاً آخر

والخامس ان لا ينظر الى ما بينهُ وبين من ينتقد كلامهُ من السوابق الشخصية من مودّةٍ او موجدة لان انفعال النفس بالشخص يحول دون ادراك البصيرة واصابة حكمها بحيث يصير الانتقاد تعصباً او تعنتاً وهو احد عيوب النقد عندنا بل أعظمها وأشيعها واكثرها إضراراً بالعلم والآداب حتى ترى المنتقد بينا يتكلم في العبارة مثلاً اذ يخرج الى ذكر العيوب الشخصية مما لا دخل لهُ في تلك الحال فيعود الانتقاد ضرباً من الشتم والانتقاص

وتضيع الحقيقة المقصودة من هذا الفن الجليل والله أعلم

وأما القصة فهي مأخوذة من قصّ الخبر والحديث اذا ساقهُ وأوردهُ بحسب وقوعهِ وأصلهُ من قصّ الاثر واقتصّهُ اذا تتبعهُ شيئاً بعد شيء فالقصة في الاصل بمعنى الخبر ثم نُقلت الى القصة التي تُكتب . هذا محصّل ما في كتب اللغة ولا يخفى ان المعنى الاخير هو المراد من القصة في الاصطلاح وتعرَّف بأنها سياقة حوادث متصلة ترجع الى شخص او اشخاص يدور ما فيها من الحديث عليهم. وأما قواعد تأليفها فيُتصوّر اوّلاً موضع النكتة منها وهو الحادث الذي تساق وقائعها اليهِ ثم يُنظَر في ترتيب تلك الوقائع فيوطّأ لها بذكر الاشخاص الذين تمّت على ايديهم وتعريف صفاتهم وأخلاقهم ثم يُشرَع في ايراد الوقائع بحسب ترتيبها الطبيعي في التقديم والتأخير الا عند غرضٍ كارادة تزيين بعض الحوادث او قصد تمكينها في الذهن فيقدَّم ما حقهُ التأخير ويُجرَى في الحديث من المسبَّب الى السبب ومن النتائج الى المقدمات. وهذه طريقة اكثر مؤلفي الافرنج فانهم كثيراً ما يبدأون القصة من أثناء حوادثها وربما بدأوها من آخرها ثم ساقوها حتى يأتوا على اوّلها الا انهم ربما افرطوا في ذلك حتى يخرج عن حدّ القبول وهذا انما يحسن في حشو القصة وفي جزئيات الحوادث لا في مجمل القصة والا استوحشت منها النفس وتعب السامع في ردّ كل واقعٍ منها الى موقعهِ حتى تتحصل لهُ صورتها الطبيعية

وأما سائر احكامها فلا سبيل الى استيفائها في هذا الموضع لاختلاف ضروب القصص وتباين اغراضها ومناحيها لكن نقول بالاجمال انهُ لا بد

ان يراعَى فيها ما يراعَى في سائر ضروب الانشآء من الجري على اصول البلاغة التي هي مراعاة حال المطالع في صوغ العبارة واختيار طبقة الكلام. ومما يُستحَبّ فيها ان لا تكون مفرطة الطول ولا وقائعها كثير التسلسل والاشتباك ولا تتعدد فيها الاشخاص الى ما يفوت حفظ المطالع او يجهد ذاكرتهُ وأن لا يُذكر فيها شخصٌ او حادث الا ولهُ تعلقٌ بشيءٍ من مقدماتها او نتائجها تفادياً من تشويش ذهن المطالع على غير فائدة . ولا بدّ فيها من ذكر حادثةٍ يتشوّق المطالع الى الوقوف على مصيرها من تعرُّض بعض اشخاصها لامرٍ مخوف او مجاذبتهِ لأُمنيّةٍ خطيرة مما يستوقف النفس بين الخوف والرجآء الى ان تسفر خواتمها عما تنتهي اليهِ

ومن المحسّنات فيها ان ينتقل الكاتب من حديثٍ الى حديث فلا يتبع سياقًا واحداً اتقآء لملل المطالع وان كان السياق طويلاً في نفسهِ حَسُنَ ان يتخللهُ بشيءٍ يصرف الفكر الى غير جهتهِ لكن بشرط ان لا يكون الحديث المعترَض بهِ طويلاً لان النفس تنتقل اليهِ وهي مشغولةٌ بالحديث السابق فاذا طال كثيراً أبطأ عليها الرجوع الى استتمام ما كانت فيهِ فضاع بذلك رونق السياق وأثر في نفس المطالع اشمئزازاً ونفوراً

وهناك جهاتٌ اخرى يتفطن لها اللبيب اضربنا عن استيفآئها لضيق المقام وفي القدر الذي ذكرناهُ كفايةٌ لذي الذوق السليم

غزة ـ بينما كنت اقلّب كتاب شعرآء النصرانية الذي جمعهُ الاب لويس شيخو وجدتهُ يروي (ص ٤٤٢) لعديّ بن زيد هذين البيتين

ايهـا الركب المخبّو نَ على الارض المجدّونا
كما انتم كذا كنّـا كما نحنُ تكونونا

وهما مختلفا الوزن كما ترونهما لكن حضرة الاب يقول هناك انهما من بحر الرَمَل ومع أن الاول قريبٌ من الرمل فالثاني لا يمكن ان يكون منهُ لان اجزاءهُ تنحلّ الى مفاعيلن والرمل يتألف من فاعلاتن . ثم ان البيت الاول مع مشابهتهِ للرمل لا ينطبق على شيء من الصور المستعملة فيـهِ لانا اذا قطّعناهُ جاء هكذا

أَيْهُرْرَكْ . بُلْمُخْبُبُو نَعَلَلاَرْ . ضِلْمُجْدُدُونَا
فاعلاتن . فاعلاتن فعلاتن . فاعلاتنتن

وهذا الضرب غير مسموع في هذا البحر فكان الصواب ان يُروَى المجدّون بسكون النون حتى يجيء على فاعلاتان لكن يبقى الاشكال في توافق البيتين على وزنٍ واحد فما الصواب في ذلك مشترك

الجواب ـ البيتان من الهزَج لا من الرَمَل ووزنهما مفـاعيلن اربع مرات الا ان البيت الاول مخزوم والخزم زيادةٌ في اول الشطر خارجة عن الوزن وهو واقعٌ هنا بحرفين وهما الهمزة واليآء المدغمة من « ايُّهـا » فاذا اسقطت اعتبارهما من البيت استقام وزنهُ وهذه صورة تقطيعهِ

(أَيْ) يُهرْرَكْبُلْ . مُخْبُبُونَ عَلَلاَرْضِلْ . مُجْدُدُونَا
ـ مفـاعيلن . مفاعيلُ مفاعيلن . مفـاعيلن